Issue 6206 Wednesday 28/11/2018
الزمان – السنة الحادية العشرون العدد 6206 الاربعاء 20 من ربيع الاول 1440 هـ 28 من تشرين الثاني (نوفمبر) 2018 م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/21. UK

قراءة المكان بذاكرة الأمس والحاضر (2)

أطياف الحجر في مقبرة الجنود البرطانيين بالكوت تزور سيدة الرواية

نعيم عبد مهلهل
المانيا

العالم مع هؤلاء لا يُصنع إلا بخلوة تستطيع فيها أن تجرّد الزمن من عقاربه، ويصبح دورانه عدماً، عندها؛ تستطيعين أن تمسكي نافذة تطلّين منها إلى عالم أولئك الذي يلفّ نظراتهم الغموض والدهشة وأشياء لا يُدرَك سحْرها وجمالها سواهم. إنهم – بنظراتهم تلك – قد يجيبون عن تساؤلاتك كلها...

عليها – الآن – مع هذا التعريف لسادة المكان الذي يحوي قبر بيتر أن تضع تصوّراً جديداً لرؤية ما يحدث في هذا العالم، وأن تترك – ولو لأيام – مشروعها الأخير في كتابة رواية عن سيدة، تعزل أحلامها وأحزانها في غرفة وسرير مريضة وعواصف ثلج وراء النافذة تُحدّثنا عن حبّ قديم، لم يبقَ منه شيء سوى عربة النزهة وبندقية الصيد وغليون التبغ ونسخة بغلاف جلدي لكتاب الإنجيل المقدّس.

لم يفارق السيدةَ وجهُ جنديها، ومنذ زياراتها الأولى للمتحف البريطاني صارت أطياف الحجر تزورها في لحظة الكتابة، فتختلط – عندها – رؤى الأشياء، فتشعر بضيق من هكذا هاجس، فقد عوّدت أفكارها على نمط من السرد الإنكليزي لعادات وثقافات تشعر بأنها قادرة على التعبير من خلالها عن الذي يشغلها، منذ أن كانت تلميذة، وأدركت مع الكتاب المقدس أنه على الإنسان المسيحي أن يعرف عالمه من خلال صفاء روحه، دون الحاجة، ليُغرق نفسه في رذيلة الجسد، والعبث في خمارات المدينة، أو يسطو على متجر صغير لبيع الأواني الخزفية. لكنها – الآن، وبفضل تأثير ما كان يكتبه ويصرّح فيه تشرشل في الصنداي تايمز – تشعر بأن هواجس جديدة لبست ذاكرة الإنسان، وربما زيارتها إلى المتحف وموت بيتر في الحرب غيّرت لديها قناعتها الإنجيلية الأولى، وأحسّت بأن مجتمعاً كهذا بات من صعب أن تؤسّس فيه فضيلة المطلق والحياة الريفية البريئة، وأن عليها أن تتخذ قراراً صارماً اتجاه وجودها، بعد تبدّد وضياع تلك القناعات. وكَمَن ينتظر زائراً على درجة من الخصوصية، تركت القلم يستريح على الورق الأصفر، وأعطت لناظرها الانشداه إلى منسوجة شرقية، علّقتها على الحائط المقابل، تمثل أناساً نسجهم فنان فطري من قرى الأهوار. هي القطعة الوحيدة التي وصلتْها من مقتنيات بيتر، والتي أرسلها هدية للكاتبة بواسطة البريد الحربي الذي كانت وزارة المستعمرات ترسله من الشرق إلى إنكلترا كل شهر، وهو لا يحوي سوى رسائل الجنود والوصايا الأخيرة والهدايا الخاصة الصغيرة الحجم، ولأنها لم تستطع أن تفسّر تعبير الوجوه وحركتها على مساحة اللون الحمر الذي يطغى على المنسوجة التي عرفتها لها واحدة من صديقاتها القليلات اللائي اعتدن استقبالهن، على أن هذه القطعة من النسيج يُطلق عليها في الشرق اسم سجّادة.

تعرّفت وولف – دائماً مع نفسها – أن هذه الأشكال تأمّلها لمدة طويلة تمنح الرائي بشعور غريب من رهبة غامضة، ولهذا كانت – دائماً – تتحاشى التأمّل لهذه المنسوجة، وكانت تُعلّق – دائماً – عندما يُسأل عنها من أحدهم أنها هدية من عزيز، تعرف شعوره، ولا تعرف مشاعر هذه السجّادة.

شعور غريب

والآن؛ بسبب موت بيتر وزيارة المتحف اقترب من روح المنسوجة كثيراً، وصارت تبحث في وجوه شخوصها عن سؤالها المحيّر: لماذا يموت الإنكليزي بعيداً عن وطنه. فتتذكّر رداً اعتبرته – حينها – باهتاً وساذجاً من واحد من الذين تخلّوا عن صديقها في ساحة المعركة، وفضّل أن يكون أسيراً على أن لا يُدفن بعيداً عن وطنه، عندما سألت صحيفة الديلي ميل الجنرال طاوزند بعد أن عاد إلى بلاده بعد نهاية الحرب واستسلام تركيا، عن سبب ومعنى هذه الخسائر الفادحة في معركة الكوت؟

أجاب ببرود: إن الملكة وشكسبير يريدان ذلك.

وقتها؛ هاج فيها غضب هيستيري، وعلّقت على كلام طاوزند في مقالة في ذات الصحيفة قولها: إن إجابة الجنرال بهذه الطريقة الفجّة تُرينا كم نبتعد عن الحلم النقي لنهر التايمز وروحه المهذّبة، وربما لو كان السيد شكسبير حياً لرفع دعوة قضائية ضد الجنرال.

فرجينيا حرصت أن تبعث بنسخة من مقالها إلى طاوزند الذي يُقال إنه علّق قائلاً: هذه امرأة لا تعاند سوى نفسها، ولا أفضّل أن أضع كُتُبَهَا في بيتي، وصايا بسمارك في ساحة المعركة أفضل ممّا تقول، وتظن أننا خسرنا في هذه المعركة أرواحنا قبل أن نخسر أجسادنا، نحن في معركة الكوت لم نخسر أرواحاً، بل أجساداً فقط. ردّت وولف، وكتبت مقالة جديدة قالت فيها: إن الاستهانة بالجسد الإنكليزي هو أكثر جرماً من الاستهانة بالملكة وشكسبير.

يومها؛ امتلأ صندوق بريدها برسائل من كل البلاد، تثني على عبارتها التي ردّت فيها الجنرال المتقاعد، والذي ترك جنوده يهجعون في مقبرة في بلاد غريبة. جمعتْ كلّ تلك الرسائل، ووضعتْهَا في سلّة ورد، ومعها وضعت صورة بيتر، وهمست له: ذلك عنوان المودّة إليكَ، يا شكسبيري الصغير. وقتها؛ تحرّكت أجفانه، كما تعود الحياة للوردة الذابلة، وتخيّلتْهُ يجلس كما اعتاد على كرسي الخيزران تحت المصباح الخافت، يتأمّلها وهي تكتب على الورق الأصفر قَصَصها التي تضايق من تشاؤمها، وسألها:

ـ فرجينيا: الحياة هي أن نضع أجسادنا أمام النافذة، ونحصي عمر الورد الذي على تلك الشجرة. إن هاجساً مثل هذا كفيل بأن يُبعد أي كآبة عن البشر، وأتمنى أن تعملي بوصفتي الطبية هذه، فأنا – بعد شهر – سأذهب إلى الجندية، وأريدك أن تكوني أمام تلك النافذة، ما دمتُ أنا في واجب الجندية التي أتمنّاها أن تكون في بلاد ما وراء البحار؛ لأعرف كيف وصل كولومبس إلى هناك، وكيف دار ماجلان على الأرض، وكيف جلب لنا فاسكو دي كاما التوابلَ من الهند.

ـ أنا أرى نافذتي في الكتاب، معتقدة أن ما قاله شكسبير نافذة العيون تفضي إلى الحديقة، ونافذة الكتاب تفضي إلى البحر. وهذا يعني أن ما وراء البحار الأمكنة التي تريد أن تُعسكر فيها روحك وعدتك لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال نافذة الكتاب؛ لأنه يضمن لنا إطلالة على البحر.

ـ هذا يعني أنكِ ستكونين في انتظاري..؟

ـ لا أدري، أنا من الذين لا يؤمنون بمصداقية، ربما لأنها تتعلّق بانتظار طيف، لا نحسّه سوى بالأمنيات. ولشعوري أن الحياة لم تكن طيبة معي بما فيه الكتابة، وعلي أن أتحاشى انتظارك الطويل، كي لا تتعرّض لما أعتقد أنه جزء من سوء طالع يلازمني وأشيائي، ولأنك ذاهب إلى أمكنة الحرب في أراضي الشموس الساطعة، لا أودّ أن أجعلك من أشيائي الخاصة، ولو أني كنتُ أتمنى أن تكون. ولكن ما يلازمني في تلك القدرية من أسى متكرر يجعلني أتحاشى تذكّر عينيك دائماً.

ـ هذا يُشعرني بخيبة، والجندي – دائماً – يحتاج لمن يُقوّي من معنوياته.

ـ علّمني أبي أن أقول ما أحسه وأؤمن فيه، وأنت تعرف ذلك.

ـ أنا عزيز لديك. وكان يمكن أن تجامليني بأمنية من لسانك، ودعي قلبكِ يشعر فيما يراه مناسباً.

ـ لأنكَ عزيز. أشعر بأن صراحتي معكَ عزيزة.

ـ كل الكتاب قُراءة لطالع ما، أو هكذا يظنون عندما يرون في كتبكم حياتهم مدوّنة أو ما يشابهها على الأقل. أنتِ نفسك – فرجينيا – كتبتِ ذات يومٍ، وقلتِ: إذا لم أكن عرّافةً جيدة، لن أكونَ كاتبة جيدة، هذه عيناي أمام عينيك، ماذا ترين فيها؟ جندياً على سفينة يطارد قراصنة أفارقة، جندي مشاة في جبهة القرم؟ أم مدفعياً في بنجاب الهند، ولكن حلمي الجميل أن أكون جندياً في مصر.

ـ ما يخصّ الحرب يحاول الكاتب أن ينأى عن قراءة الطالع، أو حتى تدوين احتمالات ما يكون، يترك هذا لمخطّطيها وقادتها، وربما تسألني كيف كتب تولستوي – إذن – روايته العظيمة الحرب والسلام. أقول إن تولستوي تلبّستْهُ وطنيته الروسية المفرطة، فكتب هذا بسبب أن جيوش نابليون حاصرت عاصمته موسكو، فكان عليه أن يكتب دروس ما حدث عبر قصة حبّ، كما فعل في آنا كارينا، فيما اعتبر ما في الحرب والسلام هو توثيق لما عاشه وأحسّه وراه في عيون فقراء وفلاحي بلاده. لندن لم تقترب إليها جيوش غازية، كما موسكو، ولم ينل حلم نابليون منها كما العاصمة الروسية، لهذا؛ لم يدوّن أيّ أديب إنكليزي عن أيّ حالة رؤيا لاحتراق لندن فيما الأدباء الروس تكلّموا عن احتراق موسكو، حتى قبل أن يحرقها القيصر الروسي؛ ليمنع جحافل نابليون من دخولها. فقد ذكر تولستوي أن نابليون كان يخطّط لموسكو أن تكون مملكة للقطط والفئران والرماد المحترق. إذن؛ رؤيا الكاتب قد تُولَد من المعاناة والمشاهدة القريبة للحدث الكبير، وإنكلترا أحداثها الكبيرة بعيدة عن حدودها، ولهذا؛ لم نستطع أن نفلح بقراءة جديدة لطالع الحرب بالنسبة للروح الإنكليزية، عدا الشاعر بيرون، فلقد لمس الشيء عندما حمل هَمّ الحرب، وذهب هناك؛ ليشاهد مأساتها عن قرب، وليُدوّن منيته التي ذهب ضحيتها، فيكون من الإنكليز القلائل الذين يمسكون حلم الكلمة، ويموت خارج وطنه.

ـ رئيس الوزراء تحدّث في خطاب له قبل أيام، وقال: الموت خارج الوطن ومن أجل الوطن واحدة من نِعَم الله.

ـ هذا يعني أنه صار كاثوليكياً طيباً في نهاية الأمر. وأنا أشك في ذلك، فخارج حدود الوطن يصير الموت مبرراً للروح الغازية، وشكسبير يقول: الغزو دون قسوة لن يكون ناجعاً.

ـ وبالرغم من هذا، سأذهب، لأني لا أريد أن أُوسَم بالجُبْن، وربما يكرهني الجميع، حتى أنت.

ـ لا تخفْ، لن أجعلك تطلق كلمة قيصر: حتى أنت بروتس.

ـ أعرف هذا، وحتماً في البلاد البعيدة، سأكون هناك، شيء من خيال كتبك سيحرسني.

ـ لا أظن أن خيالاتي ستكون حارساً جيداً، ربما لشعوري بأن النهايات التي تنتهي فيها قَصَصي، تُنبئ عن ولادة حزن، ولا أدري لماذا – دائماً – أتوقّع للأشياء أن تكون في مهبّ الريح، وفاقدة لمصائرها، وأعتقد أن العصر – بأشيائه الغريبة، وضياع تلك الفتنة التي كانت تأتي من الريف، وبساطة البشر – سبب في رضوخ شخصياتي إلى نوع من القنوط والأسى، وربما أنا – أيضاً – أتوقّع نهاية ما سيكون بالنسبة لهذا الموت الرباني الذي يتحدث عنه رئيس الحكومة، الموت خارج الوطن، أنا أعتقدهُ الموت خارج الجسد، ومَن يموت خارج جسده، كأنه لم يُولَد.

في نهاية النقاش الذي كشفت فيه فرجينيا لفتاها عن خطوط حياته القادمة، أحسّ بيتر أنه سيكون في رحلة أخيرة، وعليه أن يقتنع بكلام السياسي، وليس بكلام فرجينيا، لأنه – في النهاية، وهو يلبس معطفه، ويودّعها – قال: مرة أخرى، لا أريد أن أظل مختبئاً مثل أرنب بين سنابل الشوفان.

غَرَامٌ بَصَرِيٌّ بِلَيْلٍ لَنْدَنِيٍّ

ربما سأقضي عيد الميلاد في البصرة... أعرف ما يدور بخاطرك الآن.. كلا، لن أذهب للكنيسة، فما زلتُ على تحفّظي تجاه الكنيسة وسلطة الكنيسة، ولكنني سأذهب للحفلة فقط، فلربما الفتاة العربية الجميلة ستكون هناك، كما أن المائدة ستكون عامرة.. أراك تضحكين، يا دورا، وتقولين: يا لكَ من رجل عجوز، ياسيرل، مازال الأكل اللذيذ والنساء الجميلات شغلكَ الشاغل... أقول لك: نعم، وأعتقد سيبقى، ما قيمة الحياة بدون امرأة ومائدة عامرة؟. فلستُ مُتقشّفاً، ولا عذرياً.. حبّ الحياة يملؤني، والنساء هنّ الحياة.

رسائل سيرل بورتر/ ص / 92
ترجمة وتحرير أمل بورتر.

لا يتأوّهُ العاشقُ مَجّانا

شكسبير

ـ 2ـ

لندن باردة في آخر شهر كانون الاول ، أشجار أعياد الميلاد تلتصق بأنوارها الحمراء والذهبية على نوافذ البيوت، وبعض من معاطف الليل المتأخّر في الحانات تقطع الطريق مترنّحة، وتغنّي بأسى: سنة تذهب من أعمارنا، وسعادة ما نُدفئ بها ليل مودّة ينتظرنا على الفراش. فمنذ شهرين، لم يُسمح لدانيال للذهاب إلى بلده في إجازة. فقط؛ بمناسبة أعياد الميلاد سمحوا له بالعودة إلى الوطن، ولخمسة أيام ليعقد قرانه على صديقته مارتا، ويعود إلى مقرّ سريته في ضواحي مدينة البصرة – العراقية. (منذ عام أتوا قادمين من الكويت) تقدّموا صوب البصرة من جهة جبل سنام في منطقة صفوان إسناداً راجلاً لكتيبة دبّابات. ولم يجدوا أي مقاومة حين دخلوا منطقة العشار من جهتَي باب الزبير والمعقل، ثم اندفعوا صوب القصور الرئاسية؛ حيث استقرّت سريته هناك.

لم تفقد سريته أيّ جندي منها في اقتحام البصرة. ، لكنْ بعد مرور عام، فقدت السرية ثمانية من رجالها، لهذا كان دانيال يمتلك قلقاً كبيراً على حياته، وفي دمه تسري تفاصيل نهاية لجَدّ والدته الذي قُتل في العراق أثناء غزو بريطانيا للعراق في الحرب العالمية الأولى، وفي جعبته التي يحملها على ظهره أوراق ورسائل وصور لجَدّ والدته بيترهانس الذي ذهب للعراق مع مود وطاوزند، ولم يعد. وأخبرت الحربيةُ البريطانية أهلَه وأقاربه أنه بقي مدفوناً مع رفات رفاقه من قتلى معركة حصار الكوت في مدينة الكوت جنوب بغداد 160 كم. وأخبروهم أن بإمكانهم زيارة قبره مادام العراق – الآن – تحت حكم الإمبراطورية. لكن أحداث ثورة العشرين في الفرات الأوسط خلقت الذعر في قلب العائلة، ولم يتجرّأ أحد ليزوره، إلى أن طَوّتْهُ ذاكرة الأجيال إلى النسيان، ولم يتذكّره – الآن – سوى حفيدته، والدة دانيال التي أدركت أن التاريخ يعيد نفسه. الآن؛ حين وجدت أحد أبنائها يخدم في حرب ساحتها العراق، فكان عليها أن تؤمن بالمصائر، وتتذكّر جَدّها، وتتمنّى على ولدها أن يجد قبره، ويضع عليه باقة ورد؛ لتشعر روحه أن العائلة لم تَنْسَه. ها هم يأتون إليه زائرين، بعد أكثر من ثمانين عاماً.كان عليه أن يُفاجئ حبيبته، وهو بثمالته، بعد أن توجّه إلى الحانة مباشرة، دون أن يخبر أهله أنه وصل إلى أرض الوطن، وبإجازة عيد الميلاد. وحين امتلأ جوفه بالشراب، واستمتع بأغنية يحبّها كثيراً لجون لينون تقول:

(الخريف لا يُوقف أحذية الجنود عند أرصفة العشب البارد.... بل يبعث بهم إلى صدور حبيباتهم مباشرة....).

لهذا؛ هو يشتاق إلى حبيبته قبل أي واحد في هذا العالم. وربما شعوره بالخجل والإحباط أنه – ولعام – لم يستطع أن يرى ويزور قبر جَدّه بيتر. لهذا؛ لم يكن مستعداً أن يكون وجه والدته أول الوجوه، وهي تحمل سؤالها المستعجل الذي تكرّره في اتصالاتها الهاتفية إليه: هل وجدتَ قبر جَدّكَ، يا دانيال..؟

وعلى شهوة الأضوية الملوّنة على أشجار الصنوبر، وببذلته العسكرية المرقّطة، وبحقيبة الظهر وبمرح ثمالة ليل خريف لندن البارد ذهب – مباشرة – إلى بيت صديقته، وحين طرق الباب، تفاجأت، وهي التي كانت تحلم ليكون وسادتها في ليلة عيد الميلاد. وفي لحظة عناق وذهول، كان صوت جون لينون ينبعث من غرفة نومها، وكأنها وضعت هذه الأغنية لإحساسها أنه سيجيء إليها الليلة، ليلتحما في مشهد من غرام جارف المشاعر، تثيره عاطفة العطر وتناغم القبلات في التواء لسانه على لسانها، كما ثعبان يلتوي اشتهاءً على أنثاه، فيثار في حميمة المكان غبار نهارات البصرة المدينة تسكنه وافق المجهول في غابات النخل المدثرة بالحزن والأسئلة والأمل وشظايا المدافع، وبين عطر الروز الخفيف الذي دهنتْ فيه مارتا عنقها.

بدأ طقس نسيان الأيام المقلقة، أيام الخوف والحذر والرسائل النصّيّة الصغيرة التي تأتي عبر جهاز الاتصال المشفّر: أن يحذروا رجالاً، أغلبهم نحيفو الأطوال، وبلحى ناعمة، وبدشاديش سود، وبعضهم يعصب رأسه بقطعة قماش خضراء .

كتيبة دبابات

كل جندي في سرية مارك دوغلاس المتجحفلة مع كتيبة دبّابات ويندسور يحفظ هذه البرقية على ظهر قلب. فهي تعني له المقابلة المزعجة والقاسية مع شباب يعتقدون أنهم جيش الإمام الغائب والمقدّس، والذي ينتظر الشيعة قدومه في أي لحظة. لسانه الآن يمسح عنق خطيبته بلهفة وعطش ورعشة، فترتعش وهي غير مصدّقة أنه يعانقها، وهو بحرارة بدلة الجندية المرقّطة؛ ليكون الغرام وقوفاً عند باب شقتها هو مشهد اللهفة التي تعصف بحياته؛ ليكون مع أنثى بعيداً عن الذعر والرهبة والخوف والتشاؤم من المهمّات القتالية خارج الوطن.

وهي التي عليها أن تمنحه الأشياء التي كان يتمنّاها أن تُنسيه هلع الموت الذي يسكن سلالة العائلة جراء حروب شارك فيها الأبناء المدلّلون للجَدّ الأول الذي أتى فلاحاً من ويلز، وليفتح حانة للنبيذ في ذات الأمكنة التي كان أبطال روايات جارلس ديكنز يعيشون فيها. لكن هذا الجَدّ – وبهاجس ما – ترك زوجته وأولاده والحانة، والتحق جندياً متطوّعاً في حملة احتلال الهند، وليمت هناك بسيف قصير من جندي مسلم، كان يدافع ببسالة عن بوّابات مدينة حيدر أباد، عندما داهمها الجيش الإنكليزي؛ ليقضي على آخر مملكة مغولية إسلامية في الهند. الصور تتداخل – الآن – في الإثارة المصنوعة من جمر انفعال القبلات التي تتلوّن في موسيقى شهقاتها الشهية، وهي تستقبل بفمها أنفاس فمه، فتلتهب النار المشعلة في أطراف أصابعه، كما أعواد الثقاب، ولتشعرها بأنوثة تتفوّق على برد الخريف ونار الموقد وغناء جون لينون، تتركه يتيه في حدائق شفتيها، ويسكنه شيء من الاستعجال والخوف والعرق المتصبّب من سرعة ما يريد الحصول عليه.

شعور الاحتواء

تلتصق فيه بقوة، يداخله شعور الاحتواء، وتتصاعد في فمه نداءات الغرام المتلهّف، وتتداخل مع صوت سعف النخيل البعيد، وأصوات دوي مفخّخات تنفجّر على أطراف الطريق السريعة الواصلة بين البصرة وحقول النفط في الزبير والرميلة، وحتى حقل (صبّه) النفطي عندما كُلّفت سريته بحماية هذا الامتداد الصحراوي القاحل إلا من أشجار الأثل القصيرة، والذي يحوي في باطنه أكثر خزين للنفط بين حقول آبار النفط في العالم كله. ليتذكّر كلمات الرقيب وليام آمر مرزة الاستطلاع الصباحية، وهو يقول له: هذه الأرض كان جَدّي آرثر أول مَن حفر فيها معول الكشف. قبل مود بسنوات، جاء من المحمرة مع بعثته وأدوات الحفر مشياً على الإقدام لمسح الأرض شبراً شبراً، ليتفاجأ بكنزَيْن: النفط والألواح الأثرية لحضارة وادي الرافدَيْن. وحين أخبر لندن بكشفه: كتبوا له: اترك الألواح، واهتمّ بالكشف عن النفط .

ـ وأنا – أيضاً – كان لي جَدّ قُتل على هذه الأرض، وقبره – هنا – في مدينة اسمها الكوت. انظر هذه هي على الخريطة، تبعد عن مكاننا الآن 360 كم تماماً. ذات يوم، سأطلب من آمري؛ ليسمح لي بالذهاب؛ لأفتش عنه، وأجدّد شاهدته.

ضحك الرقيب وليام، وقال مازحاً: وحدك تذهب؟. ألا تَخَفْ؟. سيقنصكَ – هناك – واحد من مقاتلي جيش المهدي...

ـ هي رغبة من آمي، وعلي تنفيذها، وحتماً سأكون حذراً.

تذكّر أمير أمه والحروب التي تقرأ فيها نبوءاتها وأحلامها والمراثي، وزارهُ منها طيف قصيدة قديمة، لا يتذكر منها سوى خاتمها الذي كانت تضيء ببريق عينيها يوم كان يختزل الجبهات بين عينيه، وهي تذهب به إلى كل الجهات:

((بعضهم سيتحسّر..
عندما يكتشفون أن مبرّرات الحروب كثيرة
أكثرها عنفاً كان بسبب خطأ مطبعي..
أمي فسّرت الحرب:
ولدي، إنها قشرة موز يتزحلق تحتها الشاعر)).

قال لدانيال:

ـ في البلاد المحتلة لن يكون للجنود الغرباء فرصة ليحذروا. فالقدر سيكون مختبأ لهم في كل الزوايا. اترك قبر جَدّكَ الآن، وانتبه إلى حواف الطريق، وابتعد عن أي جسم مشبوه، وخصوصاً الأكياس الكبيرة، فهي – حتما – معبّأة بالمفخّخات. الآن؛ نبض قلبه يتسارع، كأنه يخاف من قدر العودة حين تنتهي إجازته. لكنه يحاول تحاشي صور المدينة البعيدة التي لم يزل غبارها معلقاً على بدلته العسكرية، لتسكنه الشهوة. هذه الأنثى الذي يشعره التصاق جسده بجسدها كما التصاق الزفت الأسود بإطار عجلاتهم العسكرية يوم يسيل بميوعة لامعة ولزجة بفعل ارتفاع حرارة الشمس في نهارات البصرة.

لكنه بين لحظة انتعاشه بممارسة غرام القبلة وقوفاً متحسّساً نشوة الالتصاق مع مَن يحبّ، ومتمتّعاً بشهيق عطرها وبين صور المكان البعيد الذي تسكنه حرارة صيف جاف في بعض أيامه، ورطوبة خانقة في أيام أخرى وبين شتاء قارص في برده وجفافه، فيتمنّى أن لا يعود هناك، وليبقى ما شاء له ملتصقاً بأنوثته التي تتفنّن الآن في محاكاة لسانه بشفتَيْن تحترقان شوقاً، حتى ليحسّ أن لسانها يصل إلى أعمق مكان في جسده. ورويداً رويداً اختفت الأمكنة البعيدة، وظل جسدها الملتصق فيه يصنع بهجة الذكورة فيه. وحين أبعد فمه عن فمها من أجل استراحة يتنفّس فيها، قفز وشم البصرة إلى عينيه.

تخيّلهُ مارداً، يريد أن يبعده عن فتاته. فترك النَفَسَ العميق، وعاد ليلصق فمه بفمها، فيما تتناثر مساءات مدينة النخل على أناشيد بحّارة شواطئها، ويسكن ليلها ضياع حلم التغيير، وتخرج الناس على امتداد شوارعها المتربة، وهي تصيحُ بصوتٍ قرمطي: يا الله، بسبب الماءِ والكهرباء نَكادُ أنْ نَجزعْ. كانت ليلة خرافية، عندما أخذته إلى سرير لا يسع جسديهما، لكن بقاءه ملتصقاً بها جعل مساحة الفراش ممكنة؛ ليبقيا معاً، كما الجسد الواحد، ويمارس اليوغا مع جسد آخر، يفترض أنه معه. غمر أمطاره في حدائقها، كما تغمر نصال الحراب قوّتها في القتال الأعزل. أشعل في أنوثتها نجوماً من وخز الشهوة الآدمية التي تتولّد في مشاعر اللقاء المفاجئ. أذاقها من لهفته قوارير عسل مغمّسة بالحنين والخوف من الموت الذي كان يحمل سيناريوهات عدّة، المفخّخة التي تمزق الجسد بلحظات، سكين القاعدة، وجيش محمد، وجند الإسلام، وجنود النقشبندية الذين ينحرون الجنود المخطوفين أمام كاميرات الفيديو، ورصاص القنّاص فوق بناية ما.أرّقتْه هذه المشاهد، حتى في محاولته لتلافي ما خلفه؛ ليتمتّع بما أمامه ومعه، لكن صورة المدينة التي سيعود إليها ستلازمه، مع هاجس الموت البعيد المتوارث مع أسرته، فأبعد من جَدّه الذي قُتل ودُفن في مدينة حيدر أباد الهندية هناك الجَدّ الآخر الذي قُتل في الحروب الصليبية على أبواب القدس، ودُفن فيها على تلّة، اختارها صلاح الدين؛ لتكون شاهداً على انتصار، أوقف زحف موجات من مسيحيي الغرب برسالة ما يسمّونه الجهاد الصليبي .

يتبع

فرجينيا وولف

شكسبير

أين الدولة

مازال البحث جارياً عن الدولة ومؤسساتها في بلدي ؟

تشهد الساحة السياسية العراقية صراعاً من نوع خاص .. لايقوم على رسم الخطط الخمسية او العشرية في ترتيب اولويات الدولة ابتداءا" من خدمة المواطن ، وصولاً الى تحصين حق الدولة اقليمياً ودولياً ، مروراً بمعالجة ملفات الخدمات والبطالة والامن والصحة والتعليم وكل مايمت لحياة المواطن بصلة ويؤمن له عيش رغيد . وانما صراع سلطوي فئوي حزبي قومي مذهبي عقيدته المصالح الضيقة التي لاتتعدى المال والسلطة !

وفي خضم ذلك ؛ لازلت ابحث عن الدولة بعدما تيقن لي ان فشل الشخصيات والاحزاب والمذاهب والاعراق في ادارة الحكم غيب وعرقل تشكيل دولة المؤسسات ،

وعلية قررت أن أحمل فانوس الفيلسوف اليوناني (ديوجين اللائرسي) واستعير مقولته : " أني افتش عن الدولة " .

نعم ؛ وأنا أقول أين الدولة العراقية ؟

أذا كان :

– بعض الأفراد فوق الدولة .
– وبعض رجال الدين فوق الدولة .
– والمافيات فوق الدولة.
– والأحزاب فوق الدولة .
– والسلاح فوق الدولة .
– والعشائر فوق الدولة.
– ومؤسسة الفساد فوق الدولة ...

ولسان حال كل هؤلاء يتشبث بمقولة الملك الفرنسي (لويس السادس عشر) بقوله »انا الدولة والدولة أنا أليس بعد هذا يحق لنا أن نسأل اين الدولة ؟

فهل يحق لساستنا ان يقولوا نحن – بناة دولة – واصحاب مشروع وطني، او نحن المنقذون والمناضلون والمضحون من اجل الخلاص من الحقبة الظالمة لأنهم – كانوا – معارضين للنظام السابق ، ليدخلونا في نفق مظلم لايقل ظلاما" عن ما كنا نعيشه ، لكن المرير به أننا خسرنا المواطن وهو الرصيد الحقيقي في كل بلدان العالم للبناء والتقدم واللحاق بركب التطور ، وعلينا الاعتراف بفشلنا في ادارتنا لمواردنا ، وتحولنا من اغنى بلد الى بلد لايعد ضمن قائمة بلدان العالم الثالث ، وتسببت السياسة الخاطئة في انهيار المنظومة القيمية – المجتمعية والتي كانت تمثل الرصيد الحقيقي في ضمان امن الدولة الداخلي بوصفه ركيزة الامن القومي ، وبذلك اصبحت دولة لا يحسب لها اي حساب ضمن محيطها الاقليمي وخسرنا كل مايمت لمقومات بناء الدولة الحقيقية !

لكن الفرصة مازالت قائمة فيما اذا تمكنا من تقديم الاعتذار اللائق لشعبنا وان نقوم بمراجعة حقيقية شجاعة تشخص الاخطاء وتعالجها معالجة ضمن الاطار الوطني بعيداً عن الاحزاب والتخندقات الطائفية والقومية والتي لم تجلب لنا سوى الويلات

اذا استطعنا ان نستثمر وارداتنا مع طاقاتنا البشرية وفق تخطيط مسبق نستطيع ان نخلق المعجزات ونعيد ترميم بلد لم يعد يظهر منه سوى اطلال وجذوع نخلٍ خاوية.

من يشعر بالمسؤولية الوطنية ومن يؤمن بعقيدة حب العراق يشارك في صنع الدولة وما دون ذلك فأنهم فئة ضالة لاتستطيع النهوض الا بحجم المال المسروق وتدمير ماتبقى من البلد ، وحتى هذه اللحظة نحن نحسن الظن بالخيرين وبشعبنا بان يكون القادم افضل بعد التخلص من الاورام السرطانية الخبيثة التي جثمت على صدورنا وسرقتنا منذ خمسة عشر عاماً .

دعونا نعمر بلدنا ونصنع مؤسساته من بين اطلال
دمار الفساد والحاقدين والمتآمرين
فالعراق يستحق الافضل
وشعبه الأبي المضحي يستحق ان يعيش بكبرياء
وكرامة
دعونا نبحث عن بلدنا كي نجده فما ضاع حقٌ
وراءه مطالب

كامل كريم الدليمي
بغداد

المتغيرات الدولية

لايشك ممن يمتلك بصيرة للخارطة العالمية يدرك ، بان العالم لم يعد تحت ضغط القطب الواحد ، وهو الولايات المتحدة الامريكية ، وإنما اصبحت الصورة واضحة هناك قطب فعال ورئيس ثان هو الاتحاد الروسي ، والقطب الاخير الذي معه اهم دولة اقتصادية تنافس في القوة والامكانيات امريكا ودول الغرب ، ودخلت كل الاسواق العالمية على اختلاف تنوعاتها وسياساتها في الشرق والغرب واسيا وافريقيا ، هي الصين .

روسيا الدولة باتت في نظر العديد من دول العالم وخاصة الاوربية هي المدافعة والحامية لقوانين ومواثيق الامم المتحدة ، في مواجهة الانزلاقات والمغامرات الامريكية البريطانية ، وبالرغم من انجرار الغرب العجوز للارادات الامريكية بحكم السيطرة العسكرية والاقتصادية ، إلا إن هذا الغرب ممتن ظمنا لمواقف الاتحاد الروسي في الامم المتحدة وفي الكثير من القضايا الدولية والاقليمية في الشرق الاوسط وافريقيا واسيا .

ولعل من ابرز الاحداث العالمية التي كادت تنشب بسببها حرب مدمرة ، هي الساحة السورية ، فبعد الاغتيال الامريكي الغربي للسياسات المعلنة في الامم المتحدة للدولة الليبية ، وقيام هذه الدول على غير المتفق عليه اميا بهجوم غربي امريكي بالتعاون مع بعض الاطراف العربية على نظام الرئيس الليبي الراحل معمر القذافي عام 2011 ودفع بمجموعات الارهاب لهذا البلد ، ابقينت روسيا بان هذه الدول وفي مقدمتها امريكا لاتحكمها المواثيق الدولية ولاتلتزم بالتعهدات لذلك كان الموقف الروسي في سوريا حازما .

سوريا غيرت الموازين الدولية ، وحققت التعددية القطبية العالمية على الارض ، بعد اعلان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في المؤتمر الدولي عام الفين وسبعة ، حينما اكد في ذلك المؤتمر بان روسيا الاتحادية لاتقبل باحادية الجانب في قيادة العالم وان القوانين الدولية يجب ان تحترم وفق منظمة الامم المتحدة ، وان روسيا وحلفاءها في منظمة بركس وشنغهاي ضامنة للامن والسلام الدوليين .

وفي عام 2015 دخلت روسيا الاتحادية كقطب حاسم عسكريا في معركة الصراع داخل الساحة السورية بالاضافة للحلف السوري الايراني مع المقاومة اللبنانية وكل الاطراف المشتركة مع الجانب السوري ، وبدأت موازين القوى تختل في مواجهة التحالف الامريكي الغربي الاسرائيلي الارهابي ، وحققت روسيا وحلفاؤها في عام 2017 انتصارات ميدانية باهرة في الاراضي السورية وكان ابرز معالمها الميدانية الانتصار في مدينة حلب الاستراتيجية انتشرت معركة محيط دمشق وصولا لمدينة درعا حتى اخر نقطة في مناطق الشريط المحتل من الجولان التي راهن عليها الكيان الصهيوني مع جبهة النصرة الارهابية كمناطق امان له على غرار الجنوب اللبناني الذي تليها فيه قوات لحد وحررته المقاومة اللبنانية بقيادة حزب الله عام الفين .

هذه المتغيرات الدولية الكبرى ، افرزت التعددية القطبية العالمية ، لذلك توجهت الرأسمالية العالمية بقيادة واشنطن في مواجهة روسيا والصين بالحصارات الاقتصادية معلنة الحرب الناعمة كمقدمة لصراعات خطيرة ، وكان ابرز ملامحها نقض اتفاقات الصواريخ القصيرة والمتوسطة بين روسيا الاتحادية وامريكا التي شكلت واحدة من اهم الانشغالات الدولية .

لم يعد بمقدور احد من بلدان العالم التنكر لبروز التعددية القطبية العالمية ، فروسيا بعقليتها الراجحة المتأنية مع حليفها الاستراتيجي الصين بالاضافة لدول البريكس ومنظومية شنغهاي اصبحت قوى فاعلة وضامنة للسلم العالمي ، وقطبا فاعلا في كبح جماح الاندفاعات الحربية للقطبية الاحادية الذي ساد العالم في الربع الاخير من القرن الماضي .

جاسم مراد
هلسنكي